

عبد الحليم خدام
وكلمة السرخير الله خير الله
إعلامي لبناني

غاب قبل أيام في باريس، عن 88 عاما، عبد الحليم خدام، كان خدام (أبو جمال)، الذي شغل بين العامين 1970 و2005 موقعي وزير الخارجية ونائب رئيس الجمهورية السورية، إحدى واجهات التركيبة المعقدة التي أنشأها النظام الذي أسسه حافظ الأسد والذي استطاع توريثه إلى نجله بشار. كان شرسا في تعاطيه مع الآخرين، كان الرجل الذي اختاره حافظ الأسد لتنفيذ مهام معينة، خصوصا في لبنان حيث لعب دور المفوض السامي بين 1975 و1998.



كلمة السر كانت دائما في مكان آخر. كان يملكها أحيانا ولم يملكها في معظم الأحيان

بقي خدام، السنّي الذي لا ينتمي إلى إحدى المدن السورية الكبرى التي كان الأسد الأب يكن لأهلها ورجالاتها كرها شديدا، يتحرك في الهامش الذي رسمه له مؤسس النظام الذي لا يزال قائما إلى اليوم، أقله شكليا. كان يمتلك كلمة السر أحيانا ولا يملكها في معظم الأحيان، حتى عندما وجد نفسه على الرف بعد لعبه الدور المطلوب منه كرئيس شكلي للجمهورية مباشرة بعد وفاة حافظ الأسد. كان مطلوبا منه اتخاذ إجراءات محددة من أجل أن يرث بشار الأسد والده. أشرف على كل الترتيبات السنّي الآخر مصطفى طلاس، وزير الدفاع، الذي نفذ التعليمات مؤكدا مرة أخرى أنه الخادم المطيع لسيد



رجل الهامش

فبراير 2005، تبين أن عبد الحليم خدام إنسان طبيعي لديه مشاعره أيضا، علما أنه بقي في كل وقت أسير الدور المرسوم له... وهو دور اقترّب من الصفر مع ازدياد روابط الحمّة بين بشار الأسد من جهة وإيران و"حزب الله" من جهة أخرى. انكشف "أبو جمال" لدى خروجه من دمشق إلى باريس ليلعب دور المعارض. لم يمتلك أي مقومات تسمح له بأن يكون معارضا. صار خارج المياه التي كان مسموحا له أن يسبح فيها وأن يمارس بعض هوايته من نوع إذلال السياسيين اللبنانيين الذين لم يكن راضيا عليهم تنفيذًا لأوامر عليا صادرة إليه. كلمة السر كانت دائما في مكان آخر. كان يملكها أحيانا ولم يملكها في معظم الأحيان.

خدام على الهامش. كان يرفع صوته في وجه السياسيين اللبنانيين تنفيذًا لتعليمات صادرة له. تقلص دوره إلى درجة كبيرة في عهد بشار الأسد واشتد ذلك على علاقة رفيق الحريري بالرئيس السوري الجديد.

لم يستطع خدام سوى تحذير رفيق الحريري في الأسابيع التي سبقت اغتياله من أن شيئا ما يعد له وأن من الأفضل أن يغادر لبنان. في العمق، إن في عهد حافظ الأسد أو في عهد بشار الأسد، كانت القرارات الكبيرة تتخذ في مكان آخر لا مكان فيها للسنّي، أكان عبد الحليم خدام أو حكمت الشهابي (رئيس الأركان) الذي أبعدها بركا عن أي موقع نافذ تمهيدا لخلافة بشار الأسد لوالده.

امتلك عبد الحليم خدام ما يكفي من الشجاعة للمجيء إلى بيروت بعد محاولة اغتيال مروان حمادة في أول تشرين الأول - أكتوبر 2004 ثم للتعزية باغتيال صديقه رفيق الحريري في الرابع عشر من شباط -

لا شك أن عبد الحليم خدام كان يمتلك نفوذا في سوريا، خصوصا في عهد حافظ الأسد، لكن هذا النفوذ كان في إطار رسم له بدقة متناهية. كان يعرف كلمة السر في بعض الأحيان فقط، لذلك، لم يتردد في القول في إحدى المقابلات بعد انشغاقه عن النظام في العام 2005 إن الجيش السوري دخل إلى الأراضي اللبنانية في العام 1976 من دون استئذان أحد وكان دخوله أولا عن طريق "جيش التحرير الفلسطيني" الذي كانت لديه وحدات في الأراضي السورية. لم يكن هذا الكلام يمت إلى الحقيقة بصلة. ما أثبتته الوثائق الرسمية لاحقا أن الجيش السوري دخل إلى لبنان بناء على طلب من وزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر وبموافقة إسرائيلية وذلك من أجل "ضبط مسلحي منظمة التحرير الفلسطينية" على حد تعبير كيسنجر نفسه.

في كل ما له علاقة بالقضايا الكبيرة ذات الطابع المصري، أبقى عبد الحليم

اقتصاديا، من أجل إقحام سليمان فرنجية أن العلاقة بحافظ الأسد ليست علاقة النذل للنذل. هناك رئيس واحد لبلدني هو حافظ الأسد.

قام عبد الحليم خدام بالاستعراض الذي كان عليه القيام به في "بارك أوتيل" عبر الشرطة العسكرية السورية التي كانت تؤدي له التحية لدى دخوله فندقا لبنانيا، في حين تم الاتفاق على إعادة فتح الحدود، بموجب الشروط السورية في مكان آخر وعبر أشخاص آخرين.

ما كشفه لي ضابط لبناني، كان يشرف في "بارك أوتيل" على ترتيبات أمنية معينة لتأمين الاتصالات بين الوزير اللبناني وقصر الرئاسة في بعبدا، أن الاجتماع المهم انعقد بين نجل سليمان فرنجية الوزير والنائب طوني فرنجية ورفعت الأسد شقيق حافظ الأسد. عقد ذلك الاجتماع في فيلا يملكها رجل الأعمال اللبناني المعروف بطرس الخوري في مكان غير بعيد عن "بارك أوتيل".

بأي قوة ستواجه سوريا وباء كورونا

واللاذقية، حيث يتم تسير دوريات تركية فقط، خلافا لنص الاتفاق الذي يحصر انقرة في مهلة الأسبوع لإبعاد الفصائل الجهادية عن جانبي الطريق، وتسير دوريات متزامنة على جانبي الطريق. هذه التهينة الروسية دعمتها تحذيرات وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو إلى دمشق، في 23 مارس الماضي، ووراء ذلك محاولة روسية-صينية في المحافل الدولية لاستغلال وباء كورونا، والمطالبة برفع العقوبات الاقتصادية، الأميركية والأوروبية، عن النظام السوري، وتحت شعار "عدم تسييس كورونا"، استنادا إلى دعوة الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش إلى هدنة شاملة وفورية، والتفرغ إلى العدو المشترك، وباء كورونا، خاصة أن إلبل منقطة مكتظة بأكثر من 3.5 مليون مدني، ويدعم استمرار الهدنة انشغال

بأي قوة ستواجه سوريا وباء كورونا

الدول الفاعلة في الملف السوري بمواجهة فايروس كورونا المستجد على جبهاتها الداخلية، حيث ينتشر الوباء في إيران منذ أكثر من شهرين، فيما يتصاعد منحني انتشاره في كل من روسيا وتركيا، ويهدد القطاع الصحي في الولايات المتحدة، وبأزمة اقتصادية كبيرة، في غياب إحصاءات شفاقة حول مدى انتشاره في سوريا، والوضع مشابه في لبنان والعراق.

أغلب المعابر السورية مع دول الجوار، الرسمية وغير الرسمية، كانت مفتوحة حتى وقت قريب أمام الوباء؛ تنتشر الميليشيات الإيرانية في دير الزور، وحركتها غير الشرعية مستمرة بين العراق وسوريا عبر معبر البوكمال؛ فيما تشير التقارير إلى نقشي الوباء في دير الزور، التي تعاني من رداة مستشفياتها، ولا تملك أجهزة تنفس صناعي. وقد اضطرت



لم يكن ينقص سوريا إلا كورونا

العديد من المناطق في إصالحها إلى المنازل بأسعار مناسبة، فيما تؤدي نشاطات محلية، وإن بشكل محدود، تقديم سلال غذائية للمتواجدين، عبر جمع تبرعات أهلية؛ ويغيب أي دور للمنظمات غير الحكومية، على كثرتها، رغم استمرار حصولها على التمويل الخارجي، وعدم خضوعها للعقوبات. أعلن النظام السوري عن عدد قليل من الإصابات بالفايروس، فيما لم تعلن مناطق الإدارة الذاتية ولا مناطق سيطرة فصائل المعارضة التابعة

لتركيا، ولا في إلبل عن إصابات، لضعف إمكانيات الكشف عنها. طبقت الإدارة الذاتية شرق الفرات إجراءات العزل الاحترازي على شاملة النظام، وبدرجة أقل في مناطق سيطرة الجيش الوطني التابع لتركيا، في غصن الزيتون ودرع الفرات ونبع السلام؛ لكن الكارثة الأكبر ستكون في الشمال السوري، في مناطق سيطرة حكومة الإنقاذ التابعة لهيئة تحرير الشام، التي لا تلتزم بتطبيق إجراءات العزل، ولم توقف الصلاة في المساجد حتى قبل أيام، وسط خلافات شرعية حول هذه الخطوة من قبل أنصار الهيئة وخصومها من المنشقين عنها. الوضع السوري، المتداعي والمفكك، يبنى بكارثة إنسانية إذا ما تفشى المرض في مناطق النفوذ الثلاث، خاصة إلبل التي تفتقد إلى المرافق الطبية وإلى الكوادر الطبية والإقنعة الواقية من الفايروس.

ولا يبدو أن المجتمع الدولي بصدد إيجاد حلول تخص الوضع السوري، بسبب انشغاله بالتصدي للفايروس في بلدانه؛ ورغم أن آلة الحرب خلال تسع سنوات، حصدت مئات الآلاف من الأرواح السورية، ورغم مصرع عشرات الآلاف في معتقلات النظام، إلا أن المجتمع الدولي لم يقم بما يتوجب عليه لحماية المدنيين، لكن يقوض جهود الدول الكبرى لمواجهة الجائحة.

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدرّاه التحرير

مختار الدبّابي

كرم نعمة

خدام خريف

منى المحروقي

مدير النشر

علي قاسم

المدير الفني

سعيدة العيقوبي

تصدر عن

AI-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant

177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk